٨- الحوادث التي أعقبت بدرًا وسبقت أُحدًا

١- غزوة بني سليم بالكدر

قال ابن القيم: ثم نهض بنفسه - صلوات الله وسلامه عليه - بعد فراغه بسبعة أيام إلى غزو بني سليم، واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة. وقيل: ابن أم كلثوم، فبلغ ماء يقال له: الكدر، فأقام عليه ثلاثًا ثم انصرف ولم يلق كيدًا[١].

٢- غزوة السويق

ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السويق في ذي الحجة، وولي تلك الحجة المشركون من تلك السنة، فكان أبو سفيان حين رجع إلى مكة ورجع فلُّ قريش من بدر نذر الا يمس ماء من جنابة حتى يغزو محمدًا ﷺ، فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه، حتى أتى العريض في طرف المدينة، فحرق أصوارًا[٢] من النخل، وقتل رجلًا من الأنصار وحليفًا له وجدهما في حرث لهما ثم كر راجعًا ثم نفر رسول الله ﷺ والمسلمون في أثره، واستعمل على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر، وبلغ رسول الله ﷺ قرقرة الكدر وفاته أبو سفيان والمشركون، وقد طرحوا سويقًا كثيرًا من أرادوهم يتخففون بذلك فأخذه المسلمون فسميت غزوة السويق، وكان ذلك في السنة الثانية من الهجرة بعد بدر بشهرين وأيام[٣].

٣- غزوة ذي أمر

وأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بقية ذي الحجة ثم غزا نجد يريد غطفان، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان، فأقام ﷺ بنجد صفرًا كله ثم انصرف ولم يَلق حربًا[٤].

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ١٨٩).

وذكرها ابن هشام (٣/ ١٣٥) وابن سعد (٢/ ٣١)، وابن سيد الناس (١/ ٢٩٤)، وابن كثير (٢/ ٥٣٩).

(٢) **أصوارًا**: جمع صور لا واحد له من لفظه وهو النخل الصغار أو جماع النخل.

(٣) بتصريف من الدرر في اختصار المغازي والسير (١٣٩، ١٤٠) **والسويق**: مطحون الحنطة أو الشعير.

(٤) السابق [١٤٠]، وانظر ابن هشام (٣/ ١٣٦)، وابن سعد (٢/ ٣٠).

٤- غزوة بحران

فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة ربيعًا الأول، ثم غزا يريد قريشًا، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم فبلغ بحران، معدنًا بالحجاز ولم يلق حربًا، فأقام هناك ربيعًا الأول وجمادي الأولى من السنة الثالثة ثم انصرف إلى المدينة.

٥- إجلاء بني قينقاع

ثم غزا بني قينقاع، وكانوا من يهود المدينة، فنقضوا عهده، فحاصرهم خمس عشرة ليلة حتى نزلوا على حكمه، فشفَّع فيهم عبدالله بن أبي وكان حليفًا لهم كما كان عبادة بن الصامت حليفًا لهم. فلما كان من نقضهم عهد رسول الله ﷺ تبرأ عبادة بن الصامت من حلفهم، وقال: يا رسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم، ففيه وفي عبدالله بن أبي نزلت هذه القصة من المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المائدة: ٥١-٥٥].

وذكر لتولي عبادة بن الصامت ورسوله والذين آمنوا وتبريه من بني قينقاع وحلفهم وولايتهم: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، فحقن النبي ﷺ دماءهم وأطلقهم، ووكل بجلائهم عبادة بن الصامت، وأمهلهم ثلاث ليال [١].

---

(١) انظر «زاد المعاد» (٣/ ١٩٠)، و«الدرر» (١٣٩، ١٤٠)، و«تهذيب السيرة» (١٣٩، ١٤٠)، و«نور اليقين» (١٠٦، ١٠٧).

وورد في سبب ذلك ما رواه ابن هشام قال: «كان امر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ منهم فجعلوا يراودونها على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا بها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديًا فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فأغضب المسلون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع» (١).

الفوائد والآثار الإيمانية:

قال الأستاذ/ عبد الحميد جاسم البلالي: تلك الصرخة التي أطلقتها المرأة سمعتها آذان تسمع وقلوب تنبض فيها الدماء تمتزج مع الغيرةُ الشهامة، تلك الصرخة تلقفها رجال وليسوا أشباه رجال، فكانت أن أصلت إغاثة الأعراض في نفوس المسلمين، فمنذ ذلك التاريخ، والمرأة مُصانة عِرضها، يُسمع لصرختها إذا استنجدت الملايين من المسلمين، كل منهم يحسب أن كل امرأة مسلمة هي عرضه، وإن كانت لاتمت له بصلة إلا صلة العقيدة، حتى جاء زمن المعتصم،ويسمع عن امرأة يعتدي عليها وتهان كرامتها فتصرخ: «وامعتصماه» فتهز قلبه تلك الاستغاثة، وتغلي الدماء في قلبه، فيعد العدة، ويجهز الجيش ليسيره من أرض الخلافة إلى الأرض التي صرخت منها تلك المرأة ليؤدب العدو، ويرد للمرأة اعتبارها وكرامتها، ثم يرجع منصورًا على عدوه الذي استهان بأعراض المسلمين، أما الآن فكم من صرخات تتلاشى وتتفتت على جدار الصامتين من الأنظمة، صرخات أخواتنا في فلسطين كل يوم على أيدي اليهود، وصرخاتهن في مخيمات لبنان على أيدي الكتائب الباطنيين. وصرخات المسلمات العفيفات في أفغانستان على أيدي الجيش الروسي وصرخاتهن في الفلبين وفي بلغاريا صرخات في كل مكان ولا مجيب، فلقد مات رواد الجيل الأول، ومات جيل المعتصم فلا معتصم، وتظل صيحات النساء المسلمات لا تُرى لها صدى ولا ترى غيرة تتحرك أو دمًا يفور(٢).

(١) «سيرة ابن هشام» مع «الروض الأنف» (٣/ ١٣٧).

(٢) «مواقف تربوية من السيرة النبوية» (٢٤، ٢٥).

٦- قتل كعب بن الأشرف

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله**»، فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله؟ قال: «**نعم**» قال: فأذن لي أن أقول شيئًا، قال: «قل» فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة، وإنه قد عنانا، وإني قد أتيتك أستسلفك، قال: وأيضًا والله لتملُّنَّه. قال: إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه ننظر إلى شئ يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقًا أو وسقين – وحدثنا عمرو غير مرة فلم يذكر «وسقًا أو وسقين» – فقال: نعم أرهنوني، قالوا: أي شيء تريد؟ قال: ارهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب، قال: فأرهنوني أبناءكم قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال : رهن بوسق أو بوسقين. هذا عار علينا، ولكنا نرهنك اللَّأمة قال سفيان: يعني السلاح، فواعده أن يأتيه فجاءه ليلًا ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة فدعاهم إلى الحصن، فنزل إليهم فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة. وقال غير عمرو وقالت: أسمع صوتًا كأنه يقطر منه الدم، قال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دعى إلى طعنة بليل لأجاب قال: ويدخل محمد بن مسلمة ومعه رجلين، قيل لسفيان: سماهم عمرو؟ قال: سمى بعضهم، قال عمرو: جاء معه برجلين، وقال غير عمرو: وأبو عبس بن جبر والحارث بن أوس وعباد بن بشر، قال عمرو: جاء معه برجلين فقال: إذا ما جاء فإني قائل بشعره فأشمه فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه. وقال مرة: ثم أشمكم، فنزل إليه متوشحًا وهو ينفح منه ريح الطيب فقال: ما رأيت كاليوم ريحًا –أي أطيب– وقال غير عمرو: قال عندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب. قال عمرو فقال:

أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم. فشمه ثم أشم أصحابه ثم قال: أتأذن لي قال: نعم. فلما استمكن منه قال: دونكم فقتلوه. ثم أتوا رسول الله ﷺ فأخبروه[١].

الفوائد والآثار الإيمانية:

١- **قال الحافظ** رَحِمَهُ اللَّهُ: قال السهيلي: في قصة كعب بن الأشرف قتل المعاهد إذا سب الشارع خلافًا لأبي حنيفة: **قلت**: وفيه نظر، وصنيع المصنف في الجهاد يعطي أن كعبًا كان محاربًا، حيث ترجم لهذا الحديث: «الفتك بأهل الحرب»، وترجم له أيضًا: «الكذب في الحرب» **وفيه**: جواز قتل المشرك بغير دعوة إذا كانت الدعوة العامة قد بلغته، **وفيه**: جواز الكلام الذي يحتاج إليه في الحرب، ولو لم يقصد قائله إلى حقيقته، **وفيه**: دلالة على قوة فطنة امرأته المذكورة وصحة حديثها، وبلاغتها في إطلاقها أن الصوت يقطر منه الدم[٢].

٢- **قال ابن إسحاق**: وقال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الأشرف.

لِلّهِ دَرَّ عِصَابَةٌ لاقَيتُهُم ... بِابنِ الحَقِيقِ وَأَنتَ يَا اَبْنَ الأَشرَفِ

يُسرُونَ بِالبِيضِ الخِفَافِ إِلَيكُم ... مَرحًا كَأسدٍ فِي عَرِينٍ مَغرِفِ

حَتى أَتَوكُم فِي مَحلِ بِلادِكُم ... فَسقُوكُم حَتفًا بِبِيضٍ ذُفَفِ

مُستَنصِرِينَ لِنَصرِ دِينِ نَبِيهِم ... مُستَصغِرِينَ لِكُلِّ أَمرٍ مُجحِفِ[٣]

٣- استدل بعض الشباب الذي يتعجل الصدام المسلح بمثل هذه الحادثة على ما يذهبون إليه ولا حجة لهم فيها لأن ذلك كان بالمدينة، وللمسلمين دولة وشوكة، أما هم فليس لهم دولة ولا شوكة، ثم كان ذلك إعزازًا للدين وإرهابًا للكافرين وكانت كلها مصالح لا مفسدة معها.

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٢٩١) المغازي، ومسلم (١٢/ ١٦١-١٦٣) «الجهاد والسير». وأبو داود [٢٧٥١] الجهاد. وقوله «**آذى الله ورسوله**» في رواية محمد بن محمود بن محمد ابن مسلمة، عن جابر عند الحاكم في الإكليل: «فقد آذانا بشعره وقوى المشركين».

(٢) «فتح الباري» (٧/ ٣٩٥).

(٣) «الروض الأنف» (٣/ ١٤٢).

أما ما يحدث في فترات الاستضعاف من هذه الحوادث فإنها يعقبها من الشر والفساد وإستباحة دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم ما لا يخفي على بصير وبلا مصلحة حقيقية مرجوة وإنما هي مصالح متوهمة، ومثل هذه الأعمال لا يبيحها الشرع ولا يفتى بجوازها من عنده مسكة من علم وخبرة بواقع الدعوة والله المستعان.

٤- قال العلماء في قوله: «ولكن نرهنك اللأمة» إنما قالوا ذلك لئلا ينكر مجيئهم بالسلاح، **وفيه**: إلهام الصحابة الرشد في القول والعمل. والله غالب على أمره.

٥- واستنبط البخاري من قوله: «فأذن لي أن أقول شيئًا»، قال: «قُل» جواز الكذب في الحرب، فبوب عليه:«الكذب في الحرب».

قال الحافظ: وقد أظهر من سياق ابن سعد للقصة أنهم استاذنوا أن يشكوا منه ويعيبوا رأيه، ولفظه «فقال له: كان قدوم هذا الرجل علينا من البلاء، حاربتنا العرب، ورمتنا عن قوس واحدة» وعند ابن إسحاق بإسناد حسن عن ابن عباس: «أن النبي ﷺ مشى معهم إلى بقيع الغرقد، ثم وجههم فقال: انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم»[1].

(١) «فتح الباري» (٧/ ٣٩٢).